

الوقف في الإسلام

استثمار خالد يزهر في رمضان

من الأعمال الصالحة التي أولها الإسلام عنايةً خاصة ورغباً فيها المسلمين، لما فيها من أثرٍ ممتدٍ يتجاوز حياة الإنسان، الوقف!. والوقف ليس مجرد صدقة مؤقتة تُنفق ثم تزول، بل هو استثمار دائم في الخير، يُبقي أثر صاحبه حيًا، ويُجري أجره عليه حتى بعد وفاته. ومع اقتراب شهر رمضان المبارك، تتضاعف فرص العطاء، ويزداد الإقبال على الطاعات، ويتجلى الوقف كأحد أسمى صور الإحسان التي يحرص عليها المسلمون في هذا الشهر المبارك؛ لما له من دورٍ محوريٍّ في تحقيق التكافل الاجتماعي، ورعاية الفئات الأكثر احتياجًا.

• الوقف، صدقة جارية لا تنقطع!

الوقف الإسلامي في جوهره هو: حبس المال أو الأصول، بحيث يبقى أصلها ثابتًا، ويُستفاد من عوائدها وريعها في مختلف وجوه الخير. ويشمل الوقف العقارات، والأراضي، والبساتين، والمؤسسات، وغيرها من الممتلكات التي يمكن أن تُدرّ نفعًا مستمرًا. وقد أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى فضل الصدقة الجارية، فقال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له". (رواه مسلم). هذا الحديث يُبين لنا أن الوقف أحد أهم الأعمال التي تظل تُثقل ميزان حسنات الإنسان حتى بعد وفاته، مما يجعله مشروعًا خيرياً ذا أثرٍ مستدامٍ يعمُّ خيره الأجيال المتعاقبة.

لم يكن الوقف في التاريخ الإسلامي مجرد عمل فرديٍّ قائم على العطاء العشوائي، بل كان مؤسسة اجتماعية متكاملة أسهمت في تمويل التعليم، والصحة، والبنية التحتية، وإطعام الفقراء، بل وحتى دعم العلم والبحث العلمي، فكان للوقف دورٌ رئيسٌ في نهضة المجتمعات الإسلامية على مرّ العصور.

• الوقف في رمضان، موسم البركات ومضاعفة الأجر!

شهر رمضان المبارك هو موسم الرحمة والبركة والتكافل، وفرصة عظيمة لتجديد العطاء، والاستثمار في الأعمال الصالحة التي تعود بالنفع على المجتمع. وَرَدَ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله: "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا"، وهذا مما يُبَيِّنُ عِظَمَ الأجر الذي يناله المسلم عندما يُشارك في توفير الطعام للصائمين، وهو ما دفع العديد من الواقفين على مرّ التاريخ، سلفًا وخلفًا، إلى تخصيص أوقافٍ لدعم موائد الإفطار، والسلاسل الغذائية مثلًا، والتكفل بالفقراء والمحتاجين خلال هذا الشهر الفضيل.

• التكايا الرضائية: نموذج تاريخي لعطاء الوقف

شهد التاريخ الإسلامي صورًا مشرقةً من الوقف الذي خُصِّص للصرف على الفقراء والمحتاجين في رمضان، ومن أبرز هذه الصور ما يُعرف بـ (التكايا)، وهي مؤسساتٌ وظيفيةٌ كانت تُقدِّم وجبات الإفطار والسحور للفقراء والمحتاجين مجانًا، انتشرت بشكل لافت وكبير جدًّا خلال فترة الخلافة العثمانية في كافة الأمصار الإسلامية، ومن أمثلة هذه التكايا: تكية (خاصكي سلطان) في القدس الشريف، التي كانت تُوفِّر الطعام للآلاف من الصائمين يوميًّا، ممَّا جعلها نموذجًا رائعًا للعطاء المستدام. وكذلك تكية (إبراهيم الخليل - عليه السلام) في الخليل في فلسطين، التي استمرت لمئات السنين في تقديم الطعام للمحتاجين، ولا تزال قائمةً حتى اليوم!.

هذه النماذج التاريخية تُبرهن على أن الوقف في رمضان لم يكن مجرد فعل فردي، بل ثقافة متجذرة في المجتمعات الإسلامية، أسهمت، ولا تزال تُسهم، في تحقيق التكافل الاجتماعي، ومنح الجميع فرصةً للاستفادة من بركات الشهر الفضيل.

• أوجه الوقف في رمضان: تنمية المجتمع وتعزيز التكافل

لم يعد الوقف في رمضان مقتصرًا على مواعيد الإفطار فقط، بل أصبح يُغطي العديد من المجالات التي تُسهم في تنمية المجتمع وتقديم المساعدة للفئات المحتاجة، ومن أبرز هذه الأوجه:

١. دعم المساجد ورعايتها:

حيث تُخصَّص العديد من الأوقاف للصرف على صيانة المساجد، وتأمين احتياجاتها، من خلال:

- دفع رواتب الأئمة والمؤذنين.
- توفير المصاحف، وأدوات النظافة، والإنارة.
- تقديم المياه الباردة للمصلين، خاصةً في المناطق الحارة والفقيرة.
- دعم برامج الاعتكاف وصلاة التراويح خلال الشهر الفضيل.

٢. رعاية الأيتام، والأرامل، والمحتاجين:

يُعتبر الوقف وسيلةً فعَّالةً في تقديم الدعم المالي والعيني للأسر الفقيرة، من خلال:

- توفير السلال الغذائية للأسر المحتاجة.
- تقديم مساعدات مالية للأرامل والأيتام.
- التكفُّل بمصاريف العلاج والرعاية الصحية للفقراء.

٣. تمويل التعليم، وتحفيظ القرآن:

للقوقف دورٌ محوريٌّ في دعم طلبة العلم، وخاصةً في رمضان، حيث:

- تُخصَّص أوقافٌ لطباعة المصاحف، وتوزيعها على المساجد.
- تُدعم المدارس القرآنية لتحفيظ كتاب الله.

- يتم تقديم المنح الدراسية للطلاب غير القادرين، مما يسهم في بناء أجيال متعلمة وواعية.

٤. الرعاية الصحية والعلاج المجاني:

مع تزايد الحاجة إلى الخدمات الصحية، يسهم الوقف في:

- تمويل المستشفيات الخيرية التي تُقدّم العلاج المجاني للفقراء.
- توفير الأدوية والمستلزمات الطبية لغير القادرين.
- دعم مراكز غسيل الكلى، والرعاية الطبية لمرضى السرطان والأمراض المزمنة.

• الوقف كأداة تنمية: استثمار في المستقبل

تطوّر مفهوم الوقف ليصبح أكثر من مجرد عملٍ خيريّ؛ حيث أصبح أحد الأدوات التنموية المهمة التي تسهم في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي. وقد ظهرت العديد من المشروعات الوقفية التي تُدرّ أرباحًا يُعاد استثمارها في وجوه الخير، مثل:

- الأوقاف العقارية: حيث يتم تأجير العقارات، ومن ثمّ استخدام العائد لدعم المشاريع الخيرية.
- الأوقاف الإنتاجية: مثل المزارع، والمصانع، والمتاجر التي يعود ريعها لدعم الفقراء.
- الأوقاف الاستثمارية: مثل الأسهم، والصناديق الاستثمارية الوقفية التي تُخصّص عوائدها لدعم الأعمال الخيرية.

• لماذا يزداد فضل الوقف في رمضان؟!

١. مضاعفة الأجر: يتضاعف الأجر في هذا الشهر المبارك، مما يجعل العطاء فيه أعظم ثوابًا.

٢. سدّ حاجات المحتاجين في الوقت الأمثل: إذ يُعاني الكثير من الفقراء في رمضان من ضيق الحال، مما يجعل الوقف وسيلةً فعّالةً لسدّ احتياجاتهم.

٣. تعزيز ثقافة الوقف: رمضان فرصة لنشر ثقافة الوقف، وتشجيع الناس على استدامة العطاء.

• الوقف بوابة للخير المستدام

ذكرنا أن الوقف ليس مجرد عملٍ خيريٍّ عابر، بل مشروع طويل الأمد، يُمَيِّل استثمارًا حقيقيًّا في خدمة المجتمع، وتحقيق التكافل بين أفرادهِ. وفي رمضان، حيث تتضاعف البركات، يصبح الوقف وسيلةً مثاليةً لمضاعفة الأجر، ونشر الخير، وتقديم العون لمن هم في أمسِّ الحاجة إليه.

إننا جميعًا مدعوون لإحياء ثقافة الوقف، وإعادة تفعيلها بطرقٍ حديثةٍ ومبتكرةٍ، تضمن استمرار العطاء، وتُسهم في بناء مجتمعٍ أكثر تكافلًا ورخاءً. فليكن لنا سهمٌ في هذا الإرث العظيم، ولنغرس أوقافًا تبقى شاهدةً على إحساننا بين يدي الله سبحانه وتعالى، وتكون لنا ذخيرةً يوم نلقاه.

أحمد بكري

٠٥١١٥٦٩٧١٨